ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع)[٨٣]. بيد أن أبا الذهب مات فعاد ظاهر العمر لها وما كاد ظاهر العمر يتخلص من أبي الذهب ومماليكه حتى أرسلت الدولة العثمانية أسطولا بحريا وقوات برية ضخمة عام ١٧٧٥م بمشاركة المملوكي البوسني أحمد الجزار فأجهزت عليه ومثلت في جثته سيما أن ابنه علياً حاكم صفد تخلى عنه.

بمقتل ظاهر العمر فشلت محاولة الاستقلال عن الآستانة ولكنها أيضا كانت شاهداً قوياً على نمو الكيانية الوطنية الفلسطينية.

كافأ الباب العالي الجزار بتعيينه حاكما على عكا، وقد اشتهر بظلمه للرعية والبطش فيها، ولكنه ما لبث أن تمرد على الباب العالي ووسع سلطانه ليشمل دمشق، طرابلس، صور، صيدا، بيروت، صفد... وليسجل صفحة مجيدة بصموده عام ١٨٠٠م مدة شهرين أمام حصار نابليون وهجماته السبع على عكا، دون جدوى، ففشلت حملته التي نجحت باحتلال القاهرة ١٧٩٨م، وإصدار نابليون بياناً يدعو يهود الشرق للعمل تحت الراية الفرنسية لإعادة بناء مملكة أورشليم، وإن كانت قوته قد نجحت باجتياح العريش، غزة، أسدود، الرملة، الناصرة، وبعد اقتحام يافا التي قاومت تحصيناتها ببسالة (وفقد فيها الفرنسيون ١٥٠٠ جندي وأسر نحو ثلاثة آلاف شخص أرسلوا المصريين منهم إلى القاهرة بينما قاموا بذبح الآخرين في ١١ آذار ١٧٩٩م وهم أكثر من ألفي شخص)[٨٤]. ويقول المؤرخ الجبرتي ٤ آلاف، كوصمة عار في جبين العسركرية الفرنسية، سيما أن سبقها تدمير وحرق طبريا، صفد وجنين.

تناغم أحمد الجزار مع مماليك آخرين تفردوا بحكم سوريا، العراق، مصر، وتميزوا جميعاً بالبطش والدموية ضد الرعية وفرض الضرائب الباهظة.

تمردت مدن فلسطين على فظاعات أحمد الجزار سيما اعدامه قادة عكا، وحظيت هذه التمردات بدعم محمد علي حاكم مصر الذي باشر باصلاحات تحديثية بعيدة المدى ضمن توجه لاقامة دولة عربية مركزية، الأمر الذي أوجب التمرد على السلطنة العثمانية والاندفاع شرقاً لتوحيد الهلال الخصيب وبلاد الشام مع مصر... حيث (كان محمد علي يطمح في حكم بلاد الشام لأسباب اقتصادية وعسكرية واستراتيجية.... وتقدمت الجيوش المصرية من خان يونس إلى غزة واحتلتها دون مقاومة تذكر في تشرين أول ١٨٣١م... فإلى يافا وعكا التي حاصرتها ستة

---

٨٣) د. مناع. عادل. المرجع السابق. ص٧٠

٨٤) د. مناع. عادل. المرجع السابق. ص٩٥